(٤)

الإعلاميون العرب والجمهور فى ظل التعددية

رغم أن الخريطة المهنية للإعلاميين العرب تضم بضعة آلاف يعملون فى مختلف قطاعات الاتصال والإعلام المقروء والمرئى والمسموع غير أن الصحفيين العرب يشغلون عن جداره موقع الصدارة بحكم انتمائهم إلى أقدم المهن الإعلامية فى الوطن العربى وأعنى بها الصحافة العربية التى ترجع نشأتها الرسمية على أيدى العثمانيين فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر وإن كان يؤرخ لبدايتها الفعلية بنشأة الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ . ويكشف التاريخ المهنى الطويل للصحفيين العرب أن أغلبهم لا يتمتعون بالحرية ولا يمارسون حقوقهم الاتصالية على الرغم من المبادئ الطنانة التى تزخر بها القوانين والدساتير العربية حيث يلاحظ تعدد وتنوع أشكال القيود المستترة أحيانا والتى تسفر عن وجهها قى أغلب الأحيان عندما تتخذ صورة العنف المباشر الذى يصل إلى حد السجن والاغتيال فضلا عن المطاردة فى الرزق والتشريد من الأوطان ويواجه الصحفيون العرب العديد من المخاطر النفسية والاقتصادية أثناء ممارسة المهنة تتمثل فى حدها الأدنى فى أشكال الرقابة السافرة والمقنعة التى تمارسها الحكومات العربية وتتراوح ما بين المنع من الكتابة والفصل من العمل بصورة متعسفة والنقل إلى وظائف أخرى والمنع من السفر وصولاً إلى الاعتقال والمحاكمات العسكرية وذلك رغم تصاعد نبرة الخطاب السياسى العربى فى تأكيد حريات التعبير والرأى وكفالة ممارستها. غير أن الواقع يؤكد عكس ذلك إذ شهدت فى السنوات الأخيرة العديد من الدول العربية سلسلة

من الممارسات المنافية لحرية الرأى والتعبير والنشر والإبداع والحق فى تداول المعلومات وأشارت إليها بالتفصيل تقارير منظمات حقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية وجميعها تؤكد تزايد أعداد الصحفيين الذين يتعرضون للاعتداءات الأمنية والمطاردات والسجون لفترات تتراوح ما بين ٤٨ ساعة وثمانية أشهر عدا تعرض العديد من الصحفيين للضرب والتعذيب.

ونظراً للقيود القانونية والمهنية التى تحاصر الصحفيون العرب وسقوط العديد منهم فى قبضة المعلنين وعدم صمودهم أمام إغراءات رجال الأعمال والمستثمرين ووكلاء الشركات المتعدية الجنسية علاوة على صعود الإعلام الفضائى والالكترونى وازدياد حاجة هذه الوسائل الاتصالية المستحدثة إلى كوادر بشرية مؤهلة ومدربة لتغطية المجالات الإخبارية وإعداد البرامج وإنتاج المواد الدرامية أدت هذه العوامل مجتمعة إلى اشتغال العديد من الصحفيين العرب فى الفضائيات وبرامج الإعلام الالكترونى. وشهدت الساحة العربية صعود نجم العديد من هؤلاء الصحفيين فى الإعلام الفضائى العربى والأجنبى خصوصاً فى البرامج الحوارية والرياضية والمنوعات.

ورغم تزايد أعداد الكوادر الإعلامية المرئية والالكترونية إلا أنه لوحظ أن مستوى الكفاءة المهنية للمذيعين ومقدمى البرامج تتفاوت من دولة عربية إلى أخرى علاوة على تباين مستوى الوعى الثقافى والسياسى لدى هؤلاء الإعلاميين ففى حين تتفوق بعض الفضائيات العربية فى هذا المجال نلاحظ أن هناك العديد من الفضائيات تفتقر إلى الكوادر الإعلامية القادرة على توظيف مناخ التعددية الإعلامية فى إثراء الساحة السياسية والثقافية من خلال الإسهام بصورة جادة وفعالة فى تحقيق التنوع الفكرى وتلبية الاحتياجات الاتصالية للجمهور العربى علاوة على إعادة تشكيل الوعى الجمعى.

الجمهور العربى:

وعندما ننتقل إلى الطرف الثانى فى المنظومة الاتصالية والمقصود به الجمهور يلاحظ أن وسائل الإعلام العربية تتوجه إلى جمهور أغلبه من الأميين (٧٠٪) ولذلك تشير الدراسات إلى أن الخريطة الإعلامية العربية الراهنة تعكس المواقع الهامشية التى يشغلها جمهور المتلقين حيث تتعامل أغلب وسائل الإعلام العربية مع جماهيرها باعتبارهم مستهلكين وليسوا مشاركين أو محاورين. وتستند في ذلك إلى النظرة التقليدية إلى الاتصال التى تعمد إلى إفراغه من محتواه كعملية اجتماعية تعتمد على المشاركة وتبادل المعلومات والخبرات الإنسانية إذ تصر على قصر أدواره على الوظيفة الإعلامية ذات الطابع الإقناعى اندعائى الأحادى الاتجاه. ورغم ما أتاحته الفضائيات من برامج حوارية إلا أن تأثيرها لا يزال محدوداً ويقتصر على قطاعات عشوائية يتم اختيارها من الجمهور بالمدن والعواصم. والواقع أن الجماهير العربية تقف عزلاء تحاصرها القيود التشريعية وتسيطر عليها مشاعر الإحباط واللامبالاة في مواجهة سطوة وسائل الإعلام العربية التى لا تعترف أصلاً بالحقوق الاتصالية للجمهور سواء في التعبير أو المشاركة.

وهنا يجدر الإشارة إلى حقيقة هامة تشير إلى المركزية الشديدة فى الأنشطة الإعلامية التى تسود فى الوطن العربى حيث يتركز الإنتاج الإعلامى فى العواصم مما أدى إلى حرمان سكان الريف والبوادى الذى يشكلون ٨٠٪ من سكان الوطن العربى وجاءت الثورة التكنولوجية فى الاتصال والمعلومات كى تخلق فجوة جديدة بين المستفيدين من الخدمات الإعلامية الحديثة وبين هؤلاء المحرومين منها حيث أصبح استخدام القنوات الفضائية المحلية والدولية وشبكات المعلومات مقصورا على الأغنياء والقادرين وأصبحت تكنولوجيا الاتصال القديمة من نصيب الفقراء.

مما أدى إلى تعميق فجوة المعلومات والمعرفة بين هؤلاء الذين يملكونها ويستخدمونها بما يعنيه ذلك من قدرة للوصول إلى المعلومات ومصادر المعرفة وبين أولئك الذين لا يستطيعون امتلاكها واستخدامها. ويمكن القول بأن الثورة التكنولوجية قد أضافت تصنيفا جديدا للخريطة الإعلامية فى الوطن العربى فأصبح هناك إعلام الأغنياء وإعلام الفقراء سواء كانوا من المتعلمين أو الأميين فى الريف أو الحضر علاوة على الإعلام المقروء وأعنى بها الصحافة العربية التى تخص المتعلمين فقط. هذا ويطلق خبراء المعلوماتية على الفجوة الطبقية فى مجال المعلومات مصطلح الفجوة الرقمية. ويعكس هذا المصطلح جماع الفروق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنوعية والعمرية وثنائية الريف والحضر.